

وائل قنديل يكتب : بهلوانات وقتلة في عزاء "شارلي"



الثلاثاء 13 يناير 2015 12:01 م

بقلم: وائل قنديل

انفثع غبار عاصفة الدموع الاصطناعية في معظمها على "شارلي إيبدو"، وبقيت أسئلة جوهرية: هل هناك فرق كبير بين كلام عبدالفتاح السيسي عن 1.6 مليار إنسان، يعتقدون فكراً يدفع الأمة الإسلامية كلها، لتكون مصدراً للخطر والقتل والتدمير في الدنيا كلها، وبين كلام نتنياهو عن أن عدو العالم المشترك هو الإسلام المتطرف؟ هل يقل الذين تصدّروا مسيرة باريس للدفاع عن حرية التعبير والحق في الحياة إرهاباً عن الذين نَقَدُوا الاعتداء على المجلة الفرنسية؟

هل يمكن تصديق أن فيلق القنلة وسفاكي الدماء أو وكلاءهم، صاروا فجأة إنسانيين ومتحضرين ومرهفي الحس، بينما دماء ضحاياهم لم تجف بعد؟

السؤال الأهم: كيف لأصحاب السجل الحافل بالجرائم ضد الإنسانية أن يقودوا تظاهرات ترفع شعارات إنسانية؟ الحاصل أن مشهد الحشد في مسيرة باريس، أول من أمس، لا يختلف كثيراً عن التدافع لحجز الأماكن في الحشد الدولي ضد "داعش"، تحت لافتة الحرب على الإرهاب، تلك اللافتة التي اختبأ تحتها من هم أجدر بالمحاكمة على جرائم أكثر فظاعة من جريمة الاعتداء على "شارلي إيبدو"، إذ رأينا في المسيرة سفاحين، لا يتطلب إثبات جرائمهم جهداً كبيراً، إن توفر للعالم قليل من العدل والنزاهة واستقامة الضمير.

ذهب أصحاب المقتلة للاستثمار في جنازة "شارلي إيبدو"، فبدا معظمهم كمجموعة من الممثلين على خشبة مسرح، تحولت عليها التراجيديا إلى كوميديا فاقعة من كثرة الادعاء والأداء التمثيلي المبالغ فيه إلى درجة الابتذال، فلم نعد نستطيع التمييز بين الثكلى والمستأجرة من النائحات القادمات من عمق الفاشية والإرهاب. وفي مناخ مفعم بالزيف والتدليس كالذي رأيناه، من الطبيعي أن تزداد مساحة دور مجرم الحرب الصهيوني، بنيامين نتنياهو، ليمرر كبطل أول للعرض الباريسي.

الكل في هذه المسيرة تَقَمُّص شخصية التاجر كوهين الذي لم يترك جنازة ولده تمر من دون استثمارها في ترويج ورشته المتخصصة في إصلاح الساعات، حتى فرنسا نفسها التي من المفترض أنها صاحبة الأتم، قررت الاستثمار فيه. وعقب الجريمة مباشرة، احتفت صحف سلطة الانقلاب المصرية بمقال للمحلل الاقتصادي الفرنسي، رولاند لومباردي، قالت إنه نشر في صحيفة "أتلانتيكو"، يقول فيه "إن فرنسا في الخط الأول للجبهة المناهضة للإرهاب والتطرف الموجود في كل من العراق والساحل الأفريقي، وعلى أراضيها، أيضاً، ولهذه الأسباب لم تخضع فرنسا من خلال التعاون مع الرئيس المصري".

وعلى الفور، ردت جوقة المكارثية والفاشية التحية، فوجدنا كثيرين يبدلون ملابسهم، ويذهبون إلى المولد في ثياب فرانكفونية مستعارة، تناسب طقس النواج الأجير والتطوعي، ليصبحوا "أنا شارلي"، على الرغم من أنه ليس شرطاً أن تصبح "شارلي"، حتى تثبت أنك ضد الإرهاب، خصوصاً إذا علمت أن "شارلي إيبدو" نفسها لم تكن، كمجلة، حريصة على حرية التعبير على طول الخط. ويكفي أن تعلم أن المجلة، التي تحولت إلى حائط ميكى لحرية الإبداع، هي ذاتها التي طردت رساماً فرنسياً في الثمانين من عمره، لأنه سخر من تحول ابن الرئيس ساركوزي إلى الديانة اليهودية، للزواج من فتاة يهودية عام 2008، معتبراً ذلك نوعاً من البحث عن الثراء عبر الدين.

الغنان العجوز، موريس سيني، طردته المجلة التي من المفترض أنها مع الحريات حد الانفلات، وأحيل إلى المحاكمة فيما بعد، بتهمة معاداة السامية، وازدراء الديانة اليهودية. وأكرر، هنا، ما قلته عقب اغتيال دبلوماسي أميركي في بنغازي، رداً على الفيلم المسيء للنبي محمد، صلى الله عليه وسلم،

عام 2012 "ليس لازماً ان نتحول إلى قتلة وسفاكي دماء، لكي نثبت للعالم اننا نحب سيد الخلق عليه الصلاة والسلام".
وبالمعيار ذاته: ليس ضرورياً أن نتحول إلى بهلوانات في جنازة شارلي، كي نثبت للعالم أننا ضد الإرهاب..